تأويلان أحدهما لا تتبع نظر عينك نظر قلبك والثاني لا تتبع النظرة
الأولى التي وقعت سهواً بالنظرة الثانية التي تتوقعها وقال عيسى بن مريم
عليه السلام إياكم والنظرة بعد النظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة وكفى
بها لصاحبها فتنة وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه العيون مصائد
الشيطان وقال بعض الحكماء من أرسل طرفه استدعى حتفه وقال بعض الشعراء

وأنت متى أرسلت طرفك رائداً ... لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وأما الشهوة فهي خادعة العقول وغادرة الألباب ومحسنة القبائح وليس
عطب إلا وهي له سبب وعليه إلب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
أربع من كن فيه وجبت له الجنة وحفظ من الشياطين من ملك نفسه
حين يرغب وحين يرهب وحين يشتهي وحين يغضب وقهرها عن هذا
الحال يكون بثلاثة أمور أحدها غض الطرف عن إثارتها وكفه عن مساعدتها
فإنه الرائد المحرك والقائد المملك وروى سعيد بن سنان عن أنس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تقبلوا لي بست أتقبل لكم الجنة قالوا
وما هن يا رسول الله إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا
ائتمن فلا يخن وغضوا فروجكم وكفوا أيديكم والثاني ترغيبها في الحلال
عوضاً وإقناعها بالمباح بدلاً فإن الله تعالى ما حرم شيئاً إلا وأغنى عنه بمباح
من جنسه لما علمه من نوازع الشهوة وتركيب الفطرة ليكون ذلك عوناً على
طاعته وحاجزاً عن مخالفته وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أمر الله
بشيء إلا أغنى عنه والثالث إشعار النفس بتقوى الله تعالى في أوامره واتقائه
في زواجره وإلزامها من طاعته وتحذيرها ما حذر من معصيته وإعلامها
أنه لا يخفى عليه ضمير ولا يعزب عنه قطمير وأنه يجازي المحسن ويكافئ المسيء
بذلك نزلت كتبه وبلغت رسله روى ابن عباس رضي الله عنهما أن آخر ما
نزل من القرآن واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت

[هامش: ومسولة الفضائح صح — أبصاركم واحفظوا]

وهم

وهم لا يظلمون وآخر ما نزل من التوراة إذا لم تستح فاصنع ما شئت وآخر
ما نزل من الزبور من يزرع خيراً يحصد غبطة فإذا أشعرها ما وصفت لكم
انقادت إلى الكف وأذعنت بالانقياد فسلم دينه وظهرت مروءته فهذا شرط
وأما كف اللسان عن الأعراض فلأنه ملاذ السفهاء وانتقام الغوغاء وهو
مستسهل الكف إن لم يقهر نفسه برادع كاف وزاجر صاد يلبط بعاره
ويحيط بمضاره وظن أنه لخافي الناس عنه حتى يتقى ورتبة ترتقى فهلك
وأهلك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم
حرام عليكم فجمع بين الدم والعرض لما فيه من إيغار الصدور وإبداء الشرور
وإظهار البذاء واكتساب الأعداء ولا يبقى مع هذه الأمور لمرموق الأمروة
الملحوظ ثم هو بها موتور وموزور ولأجلها مهجور ومزجور وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال شر الناس من أكرمه الناس اتقاء لسانه وقال
بعض الحكماء إنما يهلك الأعراض من الكلام وفضول المال وما قدح في الأعراض من الكلام
ولم يتجاوزه إلى غيره وذلك شيئان الكذب وفحش القول والثاني ما يتجاوزه إلى
غيره وذلك أربعة أشياء الغيبة والنميمة والسعاية والسب بقذف أو شتم وربما
كان السب أنكاها للقلوب وأبلغها أثراً في النفوس ولذلك زجر الله عنه
بالحد تغليظاً وبالتعزير تشديداً أو تصعيباً وقد يكون ذلك لأحد شيئين إما
انتقام يصدر عن سفه أو بذاء يحدث عن لؤم وقد روى أبو سلمة عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن غر كريم والفاسق خب لئيم
وقال ابن المقفع الاستطالة لسان الجهالة وكف النفس عن هذه الحالة بما يصدها عن
اسلم وهو بذي المروة أجمل وهذا شرط وأما العفة عن المآثم فنوعان
أحدهما الكف عن المجاهرة بالظلم والثاني زجر النفس عن الاستسرار بخيانة فأما
المجاهرة بالظلم والثاني زجر النفس عن الاستسرار بخيانة فعتو مهلك وطغيان
متلف وهو يؤول إن استمر إلى فتنة أو جلاء أما الفتنة فإن الأغلب في تحيط بصاحبها

[هامش: نوعان أحدهما ما قدح في عرض صاحبه]